

ياسين اليحياوي | *Yassine Yahyaoui

حروب الطاقة في القرن الحادي والعشرين مراجعة كتاب حروب الطاقة الجديدة

Energy Wars in the Twenty-First Century

A review of *The New Wars of Energy*



Jean-Marie Chevalier & Patrice Geoffron (Sous la dir.)

Les nouvelles guerres de l'énergie

(Paris: Eyrolles, 2017)

* باحث في مركز مغارب للدراسات في الاجتماع الإنساني، الرباط، المغرب.

Researcher at the Magharib Center for Studies, Rabat, Morocco.

يوحي عنوان الكتاب **حروب الطاقة** للوهلة الأولى، بأنه ينتمي إلى عصرٍ غابر، عصر القرن العشرين والصدمات النفطية التي وسمته، وعصر توظيف الطاقة بوصفها سلاحًا في قلب الصراعات الجيوسياسية. ويبدو الأمر مفارقًا في الوقت الذي يبرز فيه اتجاه لإظهار حسن النيات وعقد المؤتمرات حول الانتقال الطاقى المنخفض الكربون والحفاظ على البيئة وتطوير قطاعات الطاقة المتجددة والمتشابهة، لا سيما مع عقد مؤتمرات الأمم المتحدة للتغير المناخي في باريس في عام 2015 COP21 مع "اتفاق باريس للمناخ" الذي تمخض عنه، وفي مراكش في عام 2016 COP22، وفي بون في عام 2017 COP23. ففي الآن الذي تتعدد فيه الاتفاقيات الدولية والخطط الوطنية للانتقال الطاقى المنخفض الكربون في آفاق منظورة أو بعيدة، يتصلب السياق الجيوسياسي الدولي على نحوٍ متزايد، وتتزايد التوترات داخل الدول وفيما بينها، إذ إن سعر برميل النفط يشهد تقلبات حادة منذ عام 2014، ودونالد ترامب يُشهر تهديداته بالانسحاب من اتفاق باريس.

تمثل هذه المخططات الدولية الجديدة لمكافحة ظاهرة الاحتباس الحراري والتغير المناخي خلفية هذا الكتاب، وهي التي تقوم على منطق أن نواة صلبة من الجهات الفاعلة المصممة (أوروبا والصين، في غياب الولايات المتحدة الأمريكية منذ انتخاب ترامب) من شأنها أن تسارع في نشر الحلول "المنخفضة الكربون" عبر العالم خلال العقد المقبل. بيد أن المشهد الطاقى العالمي قد هيمن عليه في السنوات الأخيرة منطق المواجهة والفوضى، المرتبط بتخبُّط أسواق النفط (على نحو أعم أسواق الوقود الأحفوري). ويأتي في هذا الإطار الانخفاض الحاد لسعر برميل النفط في عام 2014، ثم جهود منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) وروسيا لإعادة توليد القدرة التنظيمية والسيطرة على السوق في عام 2016، أملاً في أن يتم تحقيق ارتفاع ملموس ومستدام في أسعار النفط.

وفقاً لمؤلفي كتاب **حروب الطاقة الجديدة**، ليس هذا المشهد العالمي للطاقة نتاج مجموعة من الظروف العابرة؛ فالعوامل الاقتصادية والجيوسياسية تفضي بنا إلى قناعة مفادها أننا قد دخلنا "نظامًا" جديدًا ستكون فيه جهود الانتقال الطاقى على المدى البعيد خاضعةً دائماً لـ "طغيان" الصدمات القصيرة المدى. ويبرز هذا الطغيان على المستوى الاقتصادي الجزئي Micro، من حيث عدم استقرار أسعار الطاقة (هما في ذلك أسعار الكهرباء)؛ ما يجعل خطط الاستثمار التي تمتد في الغالب عقوداً أكثر تعقيداً، على المستوى الاقتصادي الكلي Macro؛ لأنَّ صدمات أسعار المحروقات هي عوامل للأزمات من شأنها أن تؤثر بشدة في بعض البلدان المنتجة، بطريقة غير مباشرة، في المستهلكين. وقد زاد الأمر تعقيداً في عام 2016، مع انتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة، ما ألقى بظلال من الشك على الالتزام الأمريكي في الحرب ضد ظاهرة الاحتباس الحراري والتغيرات المناخية، وعلى سياستها في مجال الطاقة؛ وهو ما عمق عدم اليقين الذي يلقي بثقله على النمو العالمي (ومن ثمَّ على الطلب على الطاقة).

من جهةٍ أخرى، ترى الوكالة الدولية للطاقة أنه يلزم توجيه نحو 48 ألف مليار دولار من الاستثمارات بحلول عام 2050 نحو أنظمة طاقة على المدى البعيد؛ للحدّ من الاحتباس الحراري العالمي في حدود درجتين مئويتين وتطوير طاقات "نظيفة"، والحدّ من الاضطرابات المناخية⁽¹⁾. ومن ثمّ، ينبغي للسياسات العامة والشركات العاملة في قطاعات الطاقة أن تفهم أنه سيكون من الضروري أن تفلح في الاستثمار بكثافة في ظلّ عدم اليقين وعدم الاستقرار الاقتصادي، مع عدم معرفتها المسبقة بالطلب على نحوٍ دقيق، وعلاوةً على ذلك من دون معرفة مؤكّدة بخصوص السعر النهائي الذي سيتم به بيع الطاقة المنتجة و/أو المسلمة.

يأتي هذا الكتاب الجماعي الذي أشرف عليه الاقتصاديان جون ماري شوفالييه وباتريس جيوفرون، وأسهم فيه العديد من الخبراء والاقتصاديين الاختصاصيين في مجال الطاقة، ليقدّم تحليلات ترسم الخطوط العريضة لهذا المشهد الطاقوي العالمي التي هي قيد التشكّل، وللمعارك الطاقوية التي يجب كسبها في السنوات المقبلة.

يذكر مؤلّفو هذا الكتاب الجماعي بأنّ القرارات السياسية والإستراتيجية في قطاع الطاقة تجري دائماً في سياق دائم من العنف وعدم اليقين، وهو ما يمثّل أحد التحديات الرئيسة المتعلقة باستدامته. ويستهل المساهمون في الجزء الأول من الكتاب "الطاقة والمناخ: الحرب والسلام؟" باستعراض الطريق الطويلة التي لا يزال مطلوباً اتباعها؛ من أجل تحقيق توافق بيئي عالمي، على الرغم من التقدم الملحوظ الذي جرى تحقيقه في مؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي في باريس عام 2015، وعلى الرغم من الثورة "الثلاثية" الحالية في عالم الطاقة (الثورة التكنولوجية، الثورة الرقمية، والثورة الاجتماعية). كما يجري تقديم بعض الطرق الإستراتيجيات للدفع بالطاقات الجديدة من دون معارضتها بالضرورة بالطاقات التقليدية؛ أي سبل تجنّب "حرب الطاقات" فيما بينها.

في حين يطرح الجزء الثاني، "مشهد التوترات الجديدة"، السؤال الاقتصادي للنمو العالمي الذي يواجه اضطرابات الطاقة التي تفقد العالم نحو نقطتين من النمو سنوياً. ويجري أيضاً وضع تصور للقدرة التنافسية البيئية بوصفها عاملاً جيوسياسياً جديداً، خاصة في ظل الوضع الدولي الجديد الناجم عن انتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

ويركّز الجزء الثالث من الكتاب على نماذج الطاقة الجديدة بالنسبة إلى "الشركات في مرحلة الانتقال: بحثاً عن نماذج طاقة جديدة"، عبر نقاش التوترات المالية المرتبطة بمرحلة الانتقال الطاقوي للشركات الذي لا يزال في مراحلها المبكرة، والذي يتطلب تغيرات جوهرية في البيئة التنظيمية والثقافية

1 "World needs \$48 trillion in investment to meet its energy needs to 2035," International Energie Agency, 3/6/2014, accessed on 23/5/2018, at: <https://goo.gl/WidD5G>

والتكنولوجية. ثم تجري مناقشة شروط نجاح إرساء هذه القاعدة الثلاثية: "اللامركزية - نزع الكربون - الرقمنة" Decentralization-Decarbonization-Digitization. وأخيرًا، يناقش هذا الجزء التحديات الطاقية بالنسبة إلى الشركات ضمن النموذج الناشئ "للمدن الذكية".

ويعود الجزء الرابع (الأخير) "ما وراء اضطرابات العقد الحالي"، إلى الشروط المسبقة من أجل "الفوز" بـ "الحروب الجديدة للطاقة" من حيث ضريبة الكربون، وتعبئة السلطات المحلية والمواطنين، من دون نسيان ربط ذلك بمستويات دولية تتعلق على وجه الخصوص بالدور المركزي للصين في نجاح الانتقال الطاقى المنخفض الكربون على الصعيد العالمي في المستقبل.

في الحصيلة، يُستفاد من الكتاب أن النظام الطاقى العالمي دخل حقبةً جديدة. بيد أنه لا يزال يواجه فوضى أسعار النفط منذ عام 2014، وفوضى انتخاب دونالد ترامب، وغيرها من التحديات، وهو ما يُظهر أن الطريق التي ينبغي اتباعها للفوز بـ "حروب الطاقة" لا تزال طويلةً جدًا ومحفوفة بالاضطرابات والمخاطر. وفي هذا السياق المتوتر، تظل مجموعة من التوترات القوية قائمةً، من شأنها أن تفضي إلى انحرافات ومواجهات جديدة يمكنها أن تأخذ شكل حروب طاقية حقيقية؛ لذا يركز المؤلفون، من خلال تحليلاتهم المتقاطعة، على تقديم مقترحات من شأنها أن تحدد معالم العالم الطاقى الجديد، وتجنب العالم ويلات هذه المآلات التصادمية.

يبقى أن التطورات الجيوسياسية، لا سيما مع الصين التي تسعى لتوحيّ الريادة العالمية في بعض التكنولوجيات المخفضة الكربون، وجعل القطاعات المتجددة محور إعادة تعريف نموذجها الإنتاجي، مع ميل النموذج الأميركي نحو التراجع عن بعض أنواع الوقود الأحفوري، تمثل تهديدات جمة للتوازنات العالمية القائمة. وقد يجد المتفائلون في هذه المواجهة فرصةً لاستعادة تأثير ملموس لأوروبا وتحقيق نوع من التوازن الجيوسياسي العالمي من جديد. ومع ذلك، فإن التاريخ الطاقى قد كُتب على ظهر مخاوف القرن الماضي؛ فبدلاً من التعامل مع ندرة الوقود الأحفوري خلال القرن العشرين، أصبح التحدي هو مواجهة فيضه خلال القرن الحادي والعشرين. وينبغي تقريب هذا التحول في النموذج الطاقى من اعتبارين آخرين؛ أحدهما أن أكثر الدول دينامية (الصين والهند) يخلق الثروة، وفقاً للمنطق الطاقى نفسه السائد في البلدان الناشئة في القرن التاسع عشر عبر استخدام الفحم بكثافة، أما الآخر فهو متمثل بأن 70 في المئة من الاستثمارات المتخذة للحد من التغير المناخي لا تزال تأتي من القطاع الخاص.

وهكذا، فإنه يتعيّن على السلطات العامة، أكثر من أي وقت مضى، أن تضع الإطار اللازم لضمان أن تصبّ مبادرات جميع الفاعلين في مجال الانتقال الطاقى في بوتقة واحدة وتحقق نجاحاً حقيقياً. وهذه هي المعارك التي يجب كسبها في السنوات المقبلة.